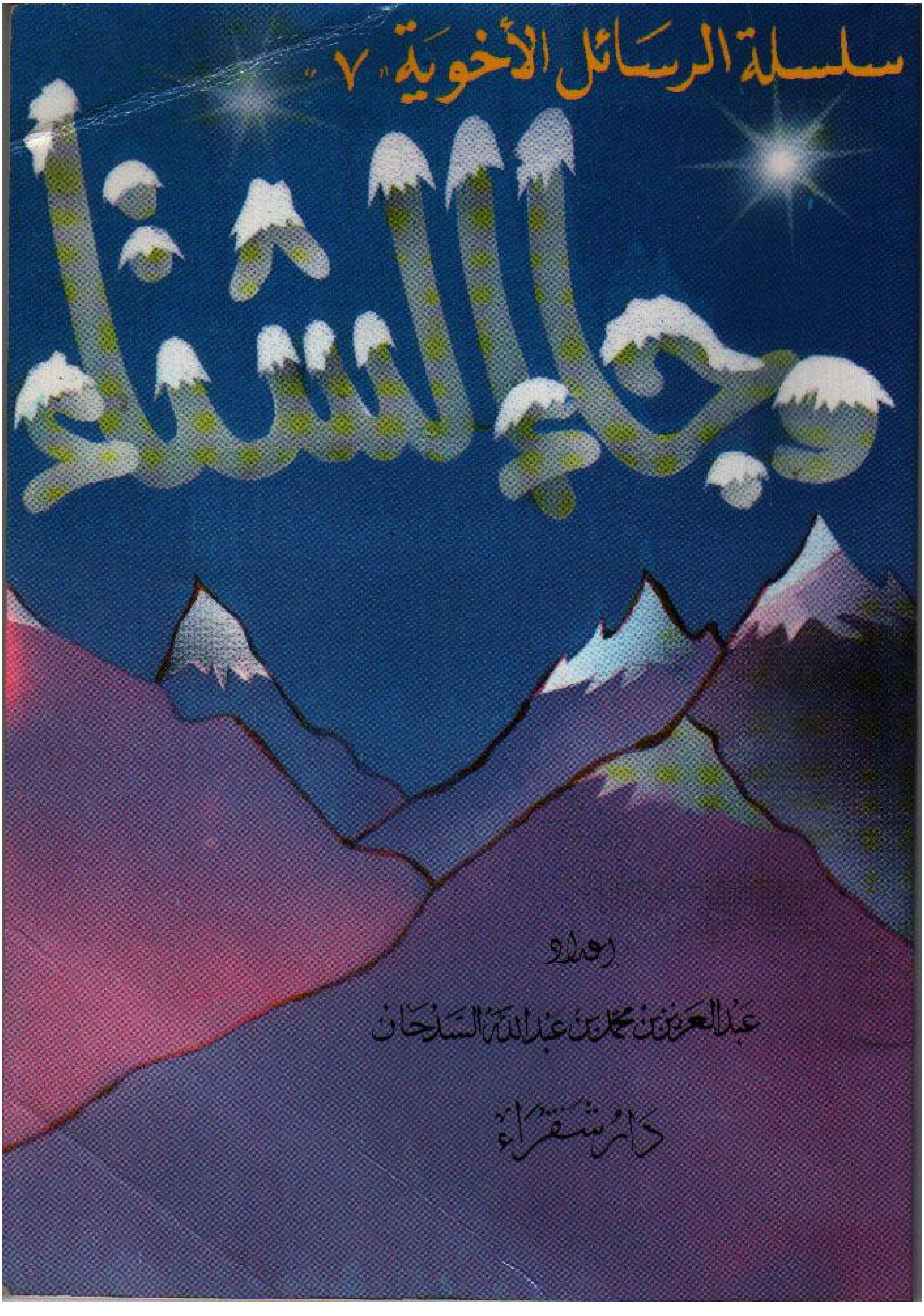

سلسلة الرسائل الأخوية "٧"
وجاء الشتاء
إعداد
عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان
دار شقراء

بسم الله الرحمن الرحيم

وجــاء الشتاء

أصل هذا الكتاب محاضرة ألقاها

فضيلة الشيخ

د.عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان

وقام بصياغتها وكتابتها

د.محمد بن سالم المهيزع

وجـاء الشتـاء

إن الحديث عن الشتاء يتردد على أسماعنا كثيراً ، بل ونحسه ونستشعره استشعاراً ، فنشتاق إلى لياليه وننتظر أيامه .. وأنني أصدر هذه الكلمة ((وجاء الشتاء)) لأهمس في أذن ، وأقول في أخرى ، أهمس وأقول إن هذا الفصل إن أتى وأقبل فهو يشير لَلبيب إشارة بأن حولاً من الزمن قد طوى بساطه وشدّ رحاله ، إيه.. كم من شتاء مرَّ علينا .. وكم من شتاء سيمرُّ علينا .. فأما الذي قد مرَّ علينا فكم من ليالينا قد ذهبت معه ، وكم من أيامنا من صاحبته ، وكم من لحظاتنا ما أصبح نسج خيال في الذكرى، وهاجس نعي منه ما نعي ، وننسى منه ما ننسى...

نعم .. إننا لفي حاجة ، وحاجة ماسة جداً في أن نقف وقفة نتحادث فيها من عامنا المنصرم .. ونناديه فنرى أهو يجيب؟ أهو يعود؟ كلا وألف لا؟ بل لو اجتمعت الإنس والجن والملائكة وكان بعضهم لبعض ظهيراً لما استطاعوا أن يردوا عشر معشار من الثانية؟ فما بالك بعام كامل يحوي بين طيّاته أياماً وليالي ، وساعات ولحظات .

أجل .. إنه يملك بين جنباته أحداث وأحداث ، فكم مات فيه أناس ، وكم خلق فيه آخرون ، وكم سُعد فيه قومٌ ، وشقى فيه غيرهم .

لا زالت ذاكرتي تحرّك مشاعري .. وتلامس أحاسيسي لأتذكر أصحاباً وأحباباً كنا نجالسهم ، ونضاحكهم ، ونسامرهم ...لا زالت صورهم في مخيلتي ، وصدى أصواتهم يقرع أبواب أذني ولكن هي الدنيا بأيامها ولياليها ...

هي الدنيا وكفى .. فربنا عز وجل يقول: **[وتلك الأيام نداولها بين الناس ..]** نعم لابد أن نجعل من هاجس الذكرى منادياً يذكرني ويذكرنا جميعاً بسنن الله في الكون ..

يذكرنا بقول ربنا عز وجل: **[يقلب الله الليل والنـــهار إن في ذلـــك لعـــبرة لأولي الأبصار]**.

كل هذا ولا أزال أتساءل عن ذلك الحول الكامل إنه ذهب وانتهى ، إنه مـــضى .. إن هاجس الخير يحثنا وهو يستفهم منا .. ماذا قدمنا ، ماذا ربحنـــا ، مـــاذا خـــسرنا ، .. والجواب ((علمها عند ربي في كتاب لا يضلُّ ربي ولا ينسى)) .

ثم أصغ إلى قول الشاعر :

تـــــمـــر بـــنا الأيـــام تترى وإنما	نساق إلى الآجال والعين تنظر
فـــلا عائد ذاك الشباب الذي مضى	ولا زائل هذا المشيب المكدّرُ

إننا لفي حاجة وحاجة ماسة لنقف ونتفكر فيما انصرم . فقد انصرم مع العام أعـــوام ، وانطوت مع اليوم أيام . والنتيجة الحتمية التي لا مفرّ منها ولا مهرب من حقيقتها هي أننا سنرى كل ذلك .. فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلـــومنّ إلا نفسه ، والعتب عليه . **يقول النبي r : ((لا تزول قدما – وفي لفظ – قدمُ عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ، عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ...))**

وهذا هو الشاهد ، وهو بيت القصيد ، ومربط الفرس .. إذن لابد من السؤال ، ولابد من الوقوف لذلك .. لامفرّ من الإجابة على ذلك .. فهل أعددنا للـــسؤال جوابـــاً ، وللجواب صواباً .. أجل .. يا أخا الإسلام هكذا تمرُّ الأيام والسنون .

يخاطب بعضهم بعض المخلوقات بصورة أدبية جميلة ترسم للحديث صورة رائعة تتجلى فيها سنة الله في هذا الكون .. فها هو يخاطب الجبل .. ألم تعلم أن عاماً قد تـــصرمت أيامه ماذا عملت ؟ ما الذي حدث لك ؟ فردّ الجبل بلسان الحال : أيها المـــسكين قـــد مرت عليّ آلاف السنين والأعوام . وأنا أؤدّي ما أمر الله به .. أثبت الأرض حـــتى لا تزول .. أما أنت فانتبه لنفسك ، ثم يخاطب الشمس بلغة أدبية فيقول أيتها الـــشمس ألم تعلمي ما حصل في هذا اليوم ؟ لقد ذهب عامٌ كامل . وحلّ علينا عامٌ جديد ، فقالت

الشمس مسكين أنت مرّت عليّ آلاف الأعوام .. وأنا أشرق ثم إلى الغروب بـــإذن الله عز وجل ، لا أعصي الله طرفة عين فانتبه لنفسك ، ويخاطب البحر أيها البحر ألم تعلـــم ما الذي حصل فأعرض البحر وقال عليك بنفسك ، ودع عنك أمري ، فأنا في واجب أؤديه وإن شاء الله أزالني ، وإن شاء أبقاني .

كم عمرك ؟

يتضايق بعض الناس عندما يُسئل كم عمره ، فيجد حرجاً ويتلعثم ويتلكأ في الكـــلام ، ويُلْبِس الجواب ثوباً من التدليس والتلبيس.. لَمَ ؟ لأنه يظن أنه إذا أخبر عن سنّه الحقيقي نظر إليه الناس بأنه كبير ... ولذا رحم الله الشافعي عندما قال: ((ليس من المـــروءة أن تسأل الرجل عن عمره)) – ليس لأنه حرام أو فيه قدحٌ .. لا ..ولكن الإجابة عليه قد تستدعي المسؤول إلى أن يكذب والعجب أن النصارى يحتفلـــون بأعيـــاد المـــيلاد .. ويظهرون أعمارهم في الصحف والمجلات ونحن إذ نقول ذلك لا نقرهم على أعيادهم ، بل لا نعترف بها في الوقت الذي يرفضها ديننا ، لكن بيت القصيد هنا ، والأمر الـــذي نأخذه كشاهد للمناسبة حيث إنهم لا يتورعون ولا يصيبهم حرج في إظهار أعمـــارهم الحقيقية . مع أنهم يكفرون بالله ورسوله وفي الجهة الأخرى نرى كثيراً مـــن المـــسلمين يتحرجون في ذلك ، بل إنهم لم يعلموا أنه كلما طال عمر العبد وحسن عمله فـــذلك خير .. فذلك خير.. **قال r : ((خيركم من طال عمره وحسن عمله))** فالله نـــسأل أن يجعلنا ممن طال عمره وحسن عمله.. هذه وقفة فلنتذكر ما سلف من أعمارنا ..

وقفة أخرى ...

دائماً ومع إطلالة الشتاء وفور قدومه ومجيء المبشر به يهرع الناس ، وينفرون مستعدين لاستقبال هذا الضيف الذي لا يحل عليهم إلا مرة في عامهم .. فهم يرون أنهم لابد وأن يستعدوا له ، وليس هكذا فحسب ، وإنما لما يحمله في جعبته لهم فهم يجلبــون بخيلــهم ورجلهم من طعام الشتاء وشرابه .. ومن لباسه ولوازمه وهذا أمر لا غرابة فيــه .. ولا دهشة بل إن ذلك من محض فعل الأسباب التي يسرها ربنا جل وعلا ، وأمرنا بها يقول عز وجل : **{هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقــه وإليه النشور }** ويقول تعالى : **{فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله }**. نعم .. فهكذا يكون الحث على السعي وعلى الأخذ بالأسباب .

ألم تـــــــر أن الله قال لــمريم	وهزي إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاءأن تجنيه من غير هــزّه	جنـــــته ولكن كلُ شيء له سبب

السيل والأمطار ...

يشتاق السامع لخبر الشتاء ويهتز عوده طرباً عندما يتذكر الأمطار والسيل ، فيكثر كلام الناس عن ذلك ، ويستمتعون برؤية المطر وآثاره ، ويتسارعون في الذهاب إلى منـــاطق السيل، .. وكل ذلك منهم لا مطعن فيه ولا غرابة ثم تأتي ((لكن)) لتحــسم القــضية حيث أن القليل منهم من يربط هذا التغير الكوني بالآخرة لاسيما إذا علمت أن ربــط مثل هذه الأمور بالآخرة ، تزيد المرء إيماناً وتسليماً بالله عز وجل فكل صغير وكــبير في هذا الكون يسير تحت إرادة الله وبإذنه.. فمن هذا المنطلق كان حرياً بنا أن يكون لهــذا

الأمر تأثيراً في نفوسنا ، وكان من الأحرى ، أن نضع في قرارة أذهاننا أن من الفطنة والنباهة ألاّيُفَرِّط المرء ، في موقف يمر عليه إلا ويربط ذلك الموقف بطاعة الله ، ويربطه بسنن الله ، فإما أن يزداد سعيه إلى الطاعات أو أن يكون الموقف مما يحجمه ويردعه عن السيئات والمعاصي ، ولقد كان نهج الرعيل الأول وعلى رأسهم رسول الله X في تربيته لأصحابه أن يجعلهم يربطون كل تغيّر بأمر الآخرة فيزيدهم ذلك شوقاً إلى الآخرة ، وإلى ما أعدّه الله في الآخرة، **يقول النبي r : ((إذا اشتد الحر فابردوا بالظهر))** قف معي قليلاً ولنتساءل: لِمَ يندب تأخير الظهر؟ **فيأتينا الجواب: ((فإن شدة الحر من فيح جهنم)).**

هذا المثال الحي من حديث رسول الله r ، يأتيك ليصوّر لك أن البعد بين الشرق الأقصى والغرب الأقصى أقل من محيط رأسك وذهنك الذي تفكّر فيه ، لأمر أصبح أشد من ذلك ، إنه ربطٌ بين الدنيا والآخرة ، أفتتح ((الحديث)) بكلام عن الدنيا .. ثم ختم الحديث بكلام عن الآخرة ..

يجيء هذا الأمر ليجعلك أخي أمام أمر حي ، ولتكن أمام صورة حقيقية تعطيك حيزاً في ذهنك بل وفي قلبك كافياً لأن تجمع بين من لا يلتقيان أبداً ..

وإذا استطردنا قليلاً لنتقلّب بين أحرف الحديث وكلماته وعباراته ونمر على معاني حسان في ذلك .. ينتهي الحديث ((إن هذا الحر من فيح جهنّم)) ولهذا فينبغي أن تؤخر الصلاة شيئاً يسيراً حتى تُعلم الحكمة من تأخيرها ، وأن المراد هو أن يتذكر المصلون حر النار ، وانظر إلى ما أجاب الله المنافقين عندما تعلّلوا وتلكؤوا الخروج مع النبي r **وقال بعضهم لبعض {وقالوا لا تنفروا في الحر } – فأتاهم الجواب الصارم المنكي – { قل نارُ جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون }** هكذا تتضح الأمور ، وهكذا تتقلص المسافة بين الدنيا والآخرة في هذا الجواب الصريح الفصيح.

ثم انتقل معي إلى خبر آخر وحديث شريف لنبينا **r وهـو يقـول : ((إن الـشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل لا ينخسفان – وفي لفظ – لا ينكسفان لمـوت أحد ولا لحياته)).**

وكأنّي بك وأنت تسمع هذا الحديث ترتسم في ذهنك صورة لأولئك النـاس الـذين يُخبرون بخسوف القمر أو الشمس فإن ذلك يدفعهم إلى أن يروا الكسوف ، وهل هـو كسوف كُلّيٌّ أو جزئي ثم تذهب أوقاتهم حتى يتجلى الكسوف وهم ينظرون إلى هـذا القمر أو تلك الشمس بفضول ، ولم يؤثر فيهم ذلك ، ولم تدخل قلوبهم هيبة من هـذا التغير.

خرج النبي **r** إلى سفر فرفع رأسه إلى الشمس فرآها قد كسفت فرجع مـسرعاً يجـرُّ رداءه ، تقول عائشة حتى خفت أن الساعة قد قامت ما الذي حصل؟ ما العلـة؟ ومـا السبب؟ إن السبب هو أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحـد ولا لحياته ، لقد أبطل اعتقاد الجاهليين ثم بين الحكمة الإلهية في ذلك ؛ ((ولكن يخوف الله بهما من شاء من عباده ..)) إذن ماذا نعمل؟ ((فإذا رأيتم ذلك فـافزعوا وصـلوا وادعوا حتى يكشف ما بكم)). أين هذا الشعور من كثير من المسلمين الله أكبر.. كم كسفت الشمس وكم خسف القمر ، ولا نرى إلا القليل ، لا نرى إلا قلة قليلة تتفاعل بقلوبها مع هذا الحدث ، وفئة معدودة تلك التي يتغلغل في خلجاتها هذا المشهد. . وقـل إن شئت أو تذكر **قول النبي r : ((هل تضارون أو تضامون))** – وكلـها ألفـاظ صحيحة واردة – في رؤية القمر مكتملاً في ليلة البدر ليس دونه سحاب . قالوا: لا يـا رسول الله .

كم قد رأينا القمر مكتملاً مرات وكرات ، وكم استمتعنا برؤية تلك الكوكبة البيـضاء التي تتلألأ في كبد السماء في ليلة تمامها .. فنسينا ماهي ، وتركنا حقيقة الأمر ، فأمـا الشعراء فالمتزلف يتزلف بمدح سلطانه بالقمر: خرج أحد السلاطين في ليلـة مقمـرة ،

فتخلل القمر سحابة ، فتشاءم السلطان ، فأراد الشاعر أن يصلح هذا الموقف كما يزعم فقال:

أرى بدر السماء يـلـــــوح حينـاً فيبـــدو ثم يلتحـــف الســحابـا
وذلـــك أنـــــــه لا تبـــــدّا وأبصر وجهك استحيـا فغـابـا

وكذب الشاعر.

أما العشاق فإذا رأوا القمر في هذه الصورة ، فإنهم يتغزلـــون بعـــشيقاتهم ، وتنقـــدح قرائحهم لوصف عشيقهم ومحبوباتهم بصورة القمر.

أما أهل الفلك فواصلوا ليلهم بنهارهم يقيمون نظريات علميّة مجرّدة وهذا شـــيء مـــن العلم لكنهم فقدوا مراد الشيء ولبّه! إلى هنا يكفينا تجوالاً مع القمر وأحبابه وعـــشّاقه لننطلق هنا عند معلم البشرية r كيف يوجه ويربي .. كيف يـــربط المحـــسوس بغـــير المحسوس ، كيف يجعل الذهن متلبساً بالحقيقة الحقة ، والعلم الـــيقين ، كيـــف يربـــأ بالنفوس والعقول إلى المعاني السامية .

كيف كان موقفه مع ذلك المشهد الذي يتكرر في كل منتصف شهر ، فأصغ سمعك يـــا رعاك الله ، قال **r : هل تضارون (هل يصيبكم ضررٌ) وهـــل تـــضامون (هـــل يصيبكم زحامٌ)** . عند رؤية القمر ليلة البدر، ليس دونه سحاب ، قالوا: لا يا رســـول الله، كأن لسان حال الصحابة يقول ما الداعي لهذا السؤال ، لا زال ذلك يصول ويجول في أذهانهم لا استنكاراً ولكن إستفهاماً .. لأنهم يعلمون أن خلف السؤال حكمة فهكذا عودهم r ثم جاء الجواب الذي يكشف ذلك الإستفهام ، ويزيل الدهشة التي علقـــت بالأذهان وهي تتلهف ، تنتظر الإجابة .. نعم تنتظر الإجابة التي سوف تـــنير الطريـــق وتبدّد الظلام .. **فجاءت الإجابة بقوله r : كذلك ترون ربكم يوم القيامة ..** أرأيت هذا الأسلوب ، وأبصرت هذا الربط النبوي العظيم ، ربط رؤية القمر بمعتقدٍ من وفقـــه الله وسلكه فاز بالظفر .

فالله نسأل أن يقرّ أعيننا برؤية وجهه الكريم من غير ضراء مُضرّة ولا فتنة مُضلّة..

واسمع إلى قول عائشة رضي الله عنها ، كان النبي r ، إذا رأى ناشئاً في السماء – أي سحابة – قام وقعد ، ودخل وخرج ، وأقبل وأدبر ، وهو رسول الله خير من وطء الثرى وأول من يستفتح باب الجنة وهو الذي قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .. ومع هذا كله يقوم وقعد ، ويدخل ويخرج ، ويقبل ويدبر ، إنه يرى المشهد ، ولكن يرى من خلفه مشاهد تترابط مع بعضها البعض في ذهنه ، وتتشابك حتى تصبح جزءً لا يتجزأ **لقد ربط هذا الموقف - r - بقوم عاد ((فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم ، قالوا هذا عارضٌ ممطرنا))** ماهم إلا الظواهر ، **كانت هي التي تشدّهم فحسب ((بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ، تدمر كل شيء بأمر ربها)).**

عوداً على ذي بدء كان r إذا رأى ناشئاً في السماء قام وقعد ، ودخل وخرج وأقبل وأدبر ، فإذا مطرت سرّي عنه – أصابه السرور – يخشى أن يكون ذلك الذي أقبل ليس من الرحمة بل من العذاب ،

ومثل هذا ما كان يحصل له r إذا هبت ريح يجثو على ركبتيه فزعاً من الريح ويقول: اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً ، اللهم اجعلها لقحاً ولا تجعلها عقيماً اللهم إني أسألك من خير هذه الريح وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما أرسلت به .

هذه التغيرات لابد وأن نربطها بالآخرة ، لابد وأن تكون قلوبنا معلقة بالآخرة ، لابد وأن يكون في أذهاننا مكان شاغر نستخدمه فيشدّنا نحو الآخرة ، ويربو بنا إلى معانٍ عالية سامية تسرق القلب ، وتلفت الأنظار ، وتشدُّ الأسماع ، إذا علمنا هذا .. إذن لنربط هذا الشتاء الذي نحن فيه **بقول النبي r : ((اشتكت النار إلى ربها فقالت يا ربِّ أكل بعضي بعضاً ، من شدة اللهب ، واللظى ، فأذنَ الله لها بنفسين ، بنفس**

بالصيف ، ونفس في الشتاء فما تجدونه من برد في هذه الأيام فهو من زمهريرها ، وما تجدونه من حرّ فهو من سمومها .. يا ترى كيف يرى المسلمون هذا المبدأ أو هذا الفصل لو جعلوا هذا الحديث في سويداء قلوبهم قبل أن يحفظوه في عقولهم..؟ إن الجواب هو انتقال إيجابي نحو العمل الصالح ، ونقلة مباركة إلى التعلق بالآخرة ورغبة ورهبة تدعوان إلى فعل الخير والحث عليه ، وترك الشر والابتعاد عنه .

لقد كان نهج نبينا r ، ترسيخ هذا المبدأ ، وتأسيس قواعد راسية في قلوب وعقول وأذهان أمته .

يربطهم بالآخرة يقربهم منها وكأنها الساعة ، نعم إنه r يشحذ الهمم والعزائم ليحُطَّ بها في المراكب العليا .

موقف يمر كثيراً على الصحابة ولكنهم قد لاينتبهون إلى ذلك ، لكن لما ربطه النبي r بموقف من أمور الآخرة تغيرت أحوالهم واستنارت بصائرهم.

أَسَرَ النبي r وصحابته بعض الأسرى ، وكان في الأسرى امرأة تحمل بين يديها طفلاً رضيعاً ، **وتضم الطفل إلى صدرها ، فقال الرسول r : أرأيتم هذه المرأة ، أتظنون أنها طارحة ولدها في النار ، فتعجب الصحابة رضوان الله عليهم ، وأجابوا بالنفي المطلق .**

إن عدوّ الطفل قد لا يلقيه في النار ، فكيف بأخيه ، فكيف بأبيه ، بل كيف بأمه التي هي أرحم الخلق به .

قالوا : معاذ الله يا رسول الله قال: - وهنا الشاهد - الله أرحم بعباده من هذه بولدها .

إنه رسول الله r يربط كما رأينا من قبل **{ وما ينطق عن الهوى } قال r : ((إن لله مائة رحمة أنزل واحدة ، وأمسك عنده تسعاً وتسعين))** ، فبهذه الرحمة التي نزلت يتعاطف الخلق ، ويتراحمون ، حتى ترفع الفرس حافرها عن صغيرها خشية أن تصيبه .

إن هذه الوقفات ، وهذه المشاهد ، مع ربطها بالآخرة ليزيد المرء إيماناً على إيمانه .

يقول أحد الزّهاد : والله ما سمعت الأذان إلا تذكرت النفخ في الصُّور ، وما رأيت الثلج يتساقط إلا تذكرت تطاير الصحف في يوم الحشر والنشر .

لو أن هذه المفاهيم كانت عند المسلمين ، وكانت قلوبهم معلقة بـــربهم عـــز وجـــل ، لكانت لهم عزة ومكانة ورفعة كيف لا .. وهي بذلك سوف تنقذهم من شباك الـــدنيا التي لطالما ذلّت من تعلق قلبه بها . وافتتن بمغرياتها فالله نسأل أن يعز الإسلام والمسلمين.

وقفـــــــــــه ....

إن هذا الفصل نعيشه ويعيشه معنا أناس يستقبلون قبلتنا ، ويصلون صلاتنا ، ويحجّـــون حجّنا ، فلهم حق .

إن هذا الفصل وما يمر علينا فيه من الشدائد .. هنا وهنـــا فقط ، لابـــد أن نستـــشعر جميعاً أن هناك من هو أحوج بالرأفة والمساعدة منا. لابد أن نتـــذكر أولئـــك الـــذين يفترشون الأرض ، ويلتحفون السماء ، لابد وأن لا ننسى أولئك الذين لامس – بـــل اخترق – بردُ زمهرير – عظامهم .. وعوداً على ما سبق ، ربط النبي r أو ربى الـــنبي r أصحابه على هذا المبدأ .

خرج النبي r في غزوة من الغزوات ومعه بعض أصحابه ، فقال r مخاطباً إيـــاهم : إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا نزلتم مترلاً ، ولا هبطتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم العذر. إذن فينبغي أن يكون المسلم مع أخيه المسلم قلباً وقالباً ، ألمـــاً وأمـــلاً ، وأن لا يفارقه شعور الترابط ، وشعور الأخوة الذي صوره r بالبنيان المرصوص ، والذي يشد

بعضه بعضاً . **وفي قوله r ((مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم ، وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)).**

إذن لابد وأن نشارك إخواننا الذين لم نرهم ، و لم يرونا ولكن قد جمعنا وإياهم الحق والإسلام .. لابد أن تداخل فرحتهم قلوبنا ، وأن تعانق أحزانهم أفئدتنا .. لكن إن قلّبت الطرف وجدت الأمر قد انتكس على العقب ، فأصبح الناس يعلنون الفرح والأفراح جماعياً على أمر تافه .. تافه جداً .. بينما هناك من المسلمين من هتكت أعراضهم ، وغصبت أراضيهم وشردوا من بلادهم ، وسامهم العدو سوء العذاب ، يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم ، ومع هذا كله ما ترى إلا القليل – وقليل ما هم – ممن يعرف أخبارهم ، ويستقرئ أنباءهم ، بل إن البعض من المسلمين لا يكلّف نفسه البتة بتتبع أخبارهم إلا إذا مرّ عرضاً عليه في جريدة ، أو مجلة ، أو سمع الخبر. وكأنّي بك وأنت تسمع أو تقرأ هذه الكلمات ينتابك شعورٌ يحثك حثاً بل ويلزمك إلزاماً بأن الجميع لزاماً عليه وأن يخلع من أمواله وملابسه صدقة يبتغي بها وجه الله .

هناك مسلمون لا يحلم بل لا يتصور أحدهم وإن شئت فقل لا يتوقع في الحسبان أن يصل إليه ثوب ، قد جعلته أنت مما فضل من ثيابك وملابسك.

أخي في الله ، قل لي بربك كم يملك أحدنا من ثوب ، وكم يفصل أحدنا من ثوب ، وكم.. وكم .. وكم .. خيرٌ كثيرٌ كثير.

ونِعَمٌ لا تحصى .. ولكن أين العمل ، .. إلى الله المشتكى ... إننا أخي المسلم نسمع أخباراً لولا أن الواحد منا يثق بصدق نقلة أخبارهم لأكذبهم وكذّبهم ، لكن إذا صاحب خبره قَسَمٌ مُغَلَّظ أذعنت له. وإلا فالكلام في ظاهره نسجٌ من الخيال وضرب من الأساطير.

أولئك العراة في برد الشتاء القارس ، قد شابت رؤوسهم في الإسلام ، وضعفت أبدانهم عن تحمل قليل من البرد ، فكيف إذا كانت بلادهم يصيبها من البرد أضعاف أضعاف

ما يصيب بلادنا. إن أمثال هؤلاء من الصور المأساوية المبكية لابد وأن لا تفارق أعيننا ، وأن لاتغيب عن أذهاننا ثم نواسيهم بما نستطيع.

ألم تعلم أخي أن آخر الدواء الكي .. فإن عجزت عن مواساقم ومساعدقم ، فـــارفع أكف الضراعة صادقة نحو ربك ، وأصحب ذلك بدعاء مخلص يلامس القلب فهذا أقل القليل.

إننا لا ننكر النعم التي نراها تترا ففضل الله واسع ،ونعم الله مسبغة علينـــا آنـــاء الليـــل وأطراف النهار، فربّ صدقة تخرج من يد صاحبها أو تخرجها يمين صاحبها ولا تعلـــم شماله ، تُكَفِّر عنه خطاياه ، وتشفع له عند ربه جل وعلا، وإن الله طيـــب لا يقبـــل إلا طيباً فالله الله في المبادرة إلى الخيرات والصدقات إلى من يستحقونها أو من يوصـــلونها إلى من يستحقونها.

إن أحدهم يخبر ويقسم بالله العظيم أن عنده جدّتين لأمه وأبيه تنامان في لحاف واحـــد من شدة البرد.

وما فضل من فراشنا وملابسنا يتآكل من طول كثره !! لا تحقرن صغيرة إن الجبال مـــن الحصى...

وخير من قول الشاعر **قول النبي r** : ((**ولا تحقرّن من المعروف شيئاً**)).. فهيا أخي امض وتصدق ولو بشيء يسير فربما يكون في نظرك حقير ، وعند ذلك الفقير المحتـــاج كبير وعظيم..

طال الليل وجاء السمر

يجيء الشتاء فيرتب كثير من الناس أوقاتهم – زعموا – كما اعتادوا كل عـــام فيكـــون الليل جواً للسهر والنهار وقتاً مناسباً للنوم. ألم تر أن عدد المصلين يقل في صلاة الفجـــر في أيام الشتاء.

لأن كثيراً منهم استحلى السهر فطال ليله وتأخر نومه من أجل أنه قطّع الليل إرباً في لهو ولعب وطرب وفي قيل وقال .

نعم.. لقد تغيرت مفاهيمنا عن مفاهيم السلف ، لما حضرت معاذاً الوفاة – رضـــي الله عنه – ومَنْ معاذ؟ إنه معاذ بن جبل الصحابي الجليل ، أعلم الأمة بالحلال والحرام الذي **يقول فيه النبي r : ((إذا كان يوم القيامة يقدم معاذ بن جبل العلماء برتوة حجر))** يكون إمام العلماء بقذفة حجر لسعة علمه وإطلاعه ، وهو الذي قال فيه الرسول **r** : ((يا معاذ إني أحبك)) وأكرم بها من وسام نبوي شريف تقلده – رضي الله عنه – إنه لما حضرته الوفاة بكى ، فقال من حوله: يا معاذ ، يا أبا عبدالرحمن ، يا صاحب رسول الله **r** : أتبكي فرقاً من الموت؟!

وأنت كذا وكذا وكذا، وذكروا شيئاً من فضائله قال: لا والله لا أبكي فرقاً من المـــوت إن الموت حق لا مرية فيه ، لكن أبكي لفقداني قيام ليالي الـــشتاء الطويلـــة ، وصـــيام الهواجر ،ومزاحمة العلماء بالركب .

حقاً إن آماله غير آمالنا .. غير آمال كثير منا. تفكيرٌ إن نظرت إليه من وهلة حـــسبت أنه يسبح في بحر الخيال ، ويرسم أحلاماً وردية كان يريد تحقيقها في حـــين أن الواقـــع خلاف ذلك الواقع الذي يحتم على العاقل أن يجعل همّه ذنوبه ، وأن يكون ذلـــك بـــين عينيه آناء الليل وأطراف النهار.

ألم تر أن الليل وسيلة ومطية إلى معاصي الله في الشتاء ، فيجتمع الخلق من النـــاس في مترل أحدهم ولا يحضرون إلا متأخرين لأن الليل طويل زعموا ..! .. إذا علمنا هـــذا أخي فلنعلم أن السهر سهران **كما قسمه شيخ الإسلام ابن تيمية ر حمـــه الله تعـــالى : سهر شرعي في طاعة الله عز وجل ، لا سمر إلا لمصل أو مسافر** وفي لفظ: لا سهر إلا في ثلاث : طلب علم ، أو إكرام ضيف أو مداعبة زوجة أما ما كان في غير ذلك، و لم يكن له ضرورة شرعية ، فقد يكون حجة على صاحبه.. ليالي الشتاءِ وما أدراك ما ليالي الشتاء ، قد أسدلت أستارها بظلامها الدامس ، وسوادها الحالك ، ولسان الحال يقول : يا من افتقر من قيام الليل فإن هذه الفرصة من أعظم الفرص ، وإن هذه الغنيمة مـــن أجل الغنائم . فالله الله لا يفوتنّك قيام الليل فانه قد أنقرض إلا ممن رحم الله.

نقل المقريزي في مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر رحمه الله أن أهـــل الـــسرايا إذا أرادوا الخروج للغزو في الليل ، قالوا موعدكم وقت قيام القرّاء في منتصف الليـــل.. تكـــون البيوت كلها تعجُّ بالقرآن الكريم..وهكذا دار الزمن والأيام ، فدارت المفاهيم معهـــا .. بل وانقلبت المفاهيم .. كيف لا؟ وأنت تمر على البيوت في آخر الليل فلا تسمع إلا لهو وزمر وطبل وغناء؟ في وقت يترل فيه الرب سبحانه وتعالى .. فيقول: مـــن يـــستغفرني فأغفر له ، ومن يسألني فأعطيه ، أو كما ورد في الخبر القدسي .

إن قيام الليل يهذب النفوس ، ويربيها ، ويجعل أهلها أسياداً يحبهم الله ، فيحببـــهم إلى الناس ، وهكذا يملكون الناس ، ويوضع لهم القبول في الأرض ، ولكن إلى الله المـــشتكى إِذْ أضاع كثير من المسلمين فرائض الصلاة ، فكيف يخاطبون بقيام الليل .

ليالي الشتاء.. هي تلك الليالي ذات الساعات الطوال ، والتي تزيد عن عشر ساعات أو أكثر .. فهب أنك تنام نصفها لتعطي بدنك الراحة المطلوبة ثم قمت بعد ذلك في صلاة ركعة أو ركعتين بنية صادقة مستغلاً بذلك بعض الدقائق فلربما صـــادف ذلـــك بابـــاً مفتوحاً.

سئل الإمام أحمد رحمه الله تعالى : كم بيننا وبين عرش الرحمن؟ قال: دعوة رجل صادق من قلب صادق.

أرأيت أخي.. فلتكن هذه الليالي هي الفرصة ، ولتكن أنت الرجل الـصادق وعليك بإخلاص النية لله عز وجل .

ودعك من كسل النفس وإثقال وأثقال الشيطان. واعلم أن الله إذا علم منك صدق النية والطوية فلن ترى منه إلا ما يسر: ((يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى ــــــ إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ، ويغفــر لكــم ، والله غفــور رحيم)) ولكن في المقابل ((ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهــم معرضون)).

إذن هكذا الجزاء يجيء من جنس العمل ، وهكذا صدق النية مع الله عز وجل ، واسمــع إلى ربنا تبارك وتعالى في **الخبر القدسي الصحيح ((أنا عند حسن ظن عبدي بي .. إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر))** .

ويقول عز وجل: **{** الظانين بالله ظن السوء ، عليهم دائرة السوء وغــضب الله علــيهم ولعنهم ، وأعدّ لهم جهنم وساءت مصيراً **}** ، ومن ظن بالله الظن الحسن فلن يرى ولن يَلْقَى إلا كل خير .. إذن فعوداً على بدء ، جاء الشتاء فلنحيي الليل بما نستطيع سـئل النبي **r** عن أفضل الصلاة بعد المكتوبة ، فقال الصلاة في جــوف الليــل. ومــن أول التوجيهات التي قالها النبي **r** عندما قدم المدينة ماروواه عبدالله بن سلام رضي الله عنــه قال: لما قدم النبي **r** المدينة ، ورأيت وجهه علمت أن وجهه ليس بوجــه كــذاب ، وجهه صادق شريف ، **فسمعته يقول: ((يا أيها الناس أفــشوا الــسلام ، وصــلوا الأرحام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام))**.

أرأيت لو أن أحد السلاطين أصدر بياناً بأنه من أراد شيئاً من متاع الــدنيا فليــأت في ساعة متأخرة من الليل ، ففي هاتيك الساعة لن ينام أحد ، والكــل ســوف يترقــب

قدومها إلا من رحم الله ، ألم تعلم أن النفوس قد جبلت على حب الدنيا . يقول جـــل وعلا : **{ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقنـــاطير المقنطـــرة مـــن الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنـــده حسن المآب}.**

إذا عرفنا هذا ، وعرفنا أيضاً أن رب العزة والجلال يتزل في كل ليلة يبسط يده بالليـــل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، و يتنزل عز وجـــل في ثلث الليل الأخير ثم يقول : من يسألني فأعطيه .. الحديث .

فلِمَ يحرم الإنسان نفسه من غنيمة ربما تمر عليه أوقات مرض ، أو عذر فيعض أصـــابع الندم والحسرة على ذلك ؟ . ولِمَ يتناسى أو ينسى الإنسان ذلك وهو يعلم يقينـــاً أن هذه الدار الدنيا مزرعة للآخرة ؟.

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً نـــدمت على التفريط في زمن البذر

إذن فهذه يا أخي همسة في أذنك ونداء لكل نزعات الخير بداخلك ، همـــسة تناديـــك لتستغل هذه الليالي ، وهمسة تقول لك إن كنت فقيراً . أو محروماً من قيام الليل فهيـــا عوّد نفسك ، واصدق النية ، فإنك والله لو صدقت النية مع الله – فكما سبق – لـــن ترى إلا توفيقاً من الله عز وجل .

ثم همسة أخرى تذكِّر ذاك الذي يقوم الليل ولو يسيراً في أن يداوم على ذلك وإن شاء فليزد وإياك ، إياك والفتور.

قال r : ((**إنما العلم بالتعلّم ، وإنما الحلم بالتحلّم ، ومن يتحرّى الخير يعطه ، ومن يتق الشر يوقه ..**)) أو كما قال رسولنا r .

نهارك أيها الشتاء قصير

جاء الشتاء بنهاره القصير البارد فلا يحس فيه الإنسان بتعب ، ولا عطش ، هذه الفرصة التي يقلّ فيها العمل ويكثر فيها الأجر .. **((والغنيمة الباردة الصوم في الشتاء)).**
حديث حسن حسّنه بعضهم وضعفه آخرون وإن ضعف إسناده فمعناه صحيح. نعم إنها غنيمة باردة يحوزها الإنسان دون عناء أو تعب ، أو مشقة .. إن هذا الصيام الذي **يقول عنه النبي r : ((من صام يوماً في سبيل الله باعد الله بينه وبين النار سبع خنادق ما بين الخندق والآخر ما بين السماء والأرض)).**

أو كما قال **r** .. أجره عظيمٌ عظيم ، والعمل قليلٌ قليل ، والمفرطون كثيرٌ كثير.
قد يتثاقل بعض الناس عن الصوم ، وكيف يمتنع الإنسان عن تناول طعام الإفطار ، وعن إجابة دعوات الأصدقاء والأصحاب ، وكيف يمتنع عن الجلوس معهم والإستئناس بالأكل معهم .. نعم هذا يعرض ، ولكن إذا علم يقيناً ما يحصل له من الأجر والثواب ، وحبب العبادة إلى نفسه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، تلك الساعة يحبب الله إليه الإيمان ويزينه في قلبه ، ويكرهه إليه الكفر والفسوق والعصيان.. والمعاصي : إن من أعظم الأسباب بعداً عن العبادة ، وعن أسباب محبة العبادة هي المعاصي .
ذكر الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب في ترجمة وهيب بن الوَرْد أن سائلاً سأله .
قال: ياوهيب ، أيفقد العبد لذة الطاعة عند عمله معصية أو بعد فراغه منها ؟
انظر إلى دقة السؤال – فكان الجواب أدّق من السؤال بكثير ، فقال رحمه الله : بل يفقد العبد لذة الطاعة إذا هم بالمعصية قبل أن يعملها .. نعم .. هكذا كانت الإجابة الدقيقة والتي لم تكن في حسبان السائل نفسه وهو يسأل .. واسمح أخي الكريم أن استطرد قليلاً لأورد شاهداً لهذا الكلام .

لو أن سائلاً طرح علينا سؤالاً فقال: هناك مريض يشتكي من داء عضال فذهب إلى طبيب ، ووصف الطبيب الدواء . وعلم بالإستقراء بل باليقين الذي لا شك فيه ولا ريب أن هذا الدواء هو سبب الشفاء من المرض بعد توفيق الله وتقديره ، ومع هذا كله مرّت شهور بل مرت أعوام ولا يزال المريض مريضاً سألنا عن الطبيب فلا نقص فيه ، بل له العلم ، وسألنا عن طبيعة الدواء فكان الدواء سليماً كاملاً صالحاً للإستعمال ، ورأينا المرض ما زالت آثاره ظاهره ، بل قد تزيد ولا تقبل النقصان .

أين الخلل .. الطبيب حاذق ، والدواء ناجع .. ولَكِنّ المرض باق ، لو طلب من أحدنا جواباً ، لكان بلا تردد هو أن الخلل ربما يكون في استعمال المريض للدواء ، وهذا الجواب هو الذي لا محيد عنه ، ولا مرية فيه .

إذن فهذه هي حالة المرضى .. هاهي حال المريض بالذنوب والمعاصي والسيئات هذه هي حال من ألهته الدنيا والشهوات ، هذه حال من أشغله الداء عن الدواء ..

ولا أخالك الآن إلا أنك تعرف الدواء .. إنه الصلاة فهي الدواء الناجح الناجع ، وقد **وَرَدَ في الحديث أن رجلاً أتى بابنه إلى النبي r فقال : يا رسول الله ، إن ابني هذا طبيب ، فقال r : ((إن الطبيب هو الله عز وجل ، إن ابنك راق وليس بشاف))**

ثم بعد هذا قف معي لحظة ، وفكر معي برهة ودعني أعرض عليك الفجوة ، وأبين لك الفوهة الخطيرة .. دعني أوضح لك بعد أن علمت أن الله عز وجل هو الذي فرض عليك هذه الصلاة ، وعلمت أنه جل وعلا **أوحى إلى نبيه r في كتابه الكريم : { إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ..}** ومع هذا كله نستعمل هذا الدواء ، ونطبّق هذه الوصفة فنصلي خمس صلوات مفروضات خلال النوازل وفضلاً عن الرواتب القبلية والبعدية والنوافل ، ثم تكون النتيجة ليست هي المرجوّة ، فالمعاصي هي المعاصي وهي إن لم تزدْ ، فلن تنقص .. بل إن أردت وإياك أن نخترق صفوف المصلين لرأينا عجباً عجاباً .. وعلى سبيل المثال لا الحصر ولا التغليب ، إنك لزاماً سوف ترى ذاك الذي

أحضر جسده إلى المسجد ، وطوّقه بين سواريه ، في حين أنه أطلق لفـؤاده ، ولذهنـه وفكره العنان في أن يتنقلوا حيث شاؤوا حتى إلى أقاصي الدنيا إذا رأوا ذلـك؟! فـإن رأيتُ ورأيت ذلك فقل لي بربك أين أثر هذه الصلاة ، وأين التطبيق الصحيح لوصـفة وتعليمات هذا الدواء.. ؟ إن هذا يا أخي لم يكن إلا شاهداً على أن العبد إذا لم يخلص النية لله عز وجل ، ويسأله بصدق فلن يوفق ، ولو تعبد ولوفعل ما فعل .. ألم تـسمع قول الله عز وجل : **{ وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة ..}** ما عقوبتـها .. ؟ مـا جزاؤها ؟.. ما مصيرها؟.. **{ تصلى نار حامية ..}** هكذا كانت الحال ، وهكذا كـان المصير والمآل أما إن سألت عن السبب ، فهو عبادة الله على ضلال .. لنعد إلى محطتنا ، وإلى حيث وقفنا .. وإلى أن نتذكر جميعاً هذه الغنيمة التي أحضرها لنـا هـذا الـشتاء بفضل الله ، فلا يحرمنّ أحدنا نفسه ، ولا يُحرمنِّ أحدنا الفرصة التي جاء الوعد بالجزاء لها من رب العالمين .

كيف لا والله عز وجل يقول عنه في الحديث القدسي: **((كل عمل ابن آدم لـه إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به))** .. والنبي **r** **يقول : ((إن للجنة ثمانية أبواب بـاب يقال له الريّان لا يدخل منه إلا الصائمون ، فإذا كان يـوم القيامـة نـودي أيهـا الصائمون هذا بابكم فادخلوه ..))** .

تحمل المكاره .. واحتساب الأجر

جاء الشتاء فجاء معه الإحتساب ، وجاء معه تحمّل المكاره ، وما يتبع النفس من الجهد البدني من إسباغ الوضوء في ليلة باردة قال **r** في حديث طويل في اختصام الملأ الأعلى أن من الأسباب ومما يرفع الله به الدرجات ويضع به الخطايا ، إسباغ الوضـوء علـى المكاره ..خاصة كما قال ابن القيم أو غيره إذا احتسب العبد الأجر على الله عز وجل

لقد جاء الشتاء فكان للنوم فيه لذة ، وطعم وراحة لا سيما إذا كان ذلـــك في مكـــان دافىء معزول عن برد الشتاء .. وأصبح المرء بذلك بحاجة إلى مجاهدة نفسه ، ومقاومـــة شهوته ، وطرد شيطانه ، والاستعانة بالله عز وجل على ذلك كله ، فيستيقظ ثم يـــسبغ الوضوء ويخرج بعد ذلك في هذا الليل البهيم شديد البرد محتسباً بذلك خطاه إلى الله عز وجل ، قال r ــــــ فيما رواه ابن حبّان – وغيره – ((**بشِّر المشّائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**)).

وأجمل بها من بشارة نبوية زكية ، ثم اسمع للبشارة التي تليها ـــــ من صلى الفجـــر في جماعة فهو في ذمة الله ، هكذا تجتمع البشائر لك يا من جاهدت نفسك واستعنت بـــالله ، وخرجت في ليلة باردة ، وتحملت برد الماء مع أننا ولله الحمد قد توفرت لنا وســـائل الراحة والرفاهية .

وقفة .. لنقلب صفحات الزمن إلى الوراء

جاءنا الشتاء مطالباً إيانا بأن نتذكر أقواماً ، أو قل إن شئت نتخيّل ـــــــ حالهم حين أن مرت عليهم هذه الأيام وذاقوا فيها الأمرَّين من شدة البرد، وقلة ذات اليد .. ألم تـــر أننا ولله الحمد والمنة ، يدخل علينا الشتاء ويخرج وقد استعددنا له قبل دخوله بالطعـــام والشراب واللباس ، ووسائل التدفئة التي قد تـــوفرت بأحـــسن الأشـــكال ومختلفهـــا وبأرخص الأثمان ، وفي كل مكان... لنقلّب صفحات الزمن قليلاً ولكن إلى الـــوراء ، ولنعد إلى حيث كبار السن والذين أجدهم الآن وقـــد عـــادوا بـــذاكرتهم إلى تلـــك الصفحات، وقد تراجعوا إلى الوراء عشرات السنين ، ولا أقول ذلك رجمـــاً بالغيـــب ولكن توقعاً للحال .. توقعاً لحال من أراد شكر نعمة ربه إن الذاكرة تعود بأحـــدهم ويتذكر كيف كان يعيش ، وكيف مرّت عليه مثل هذه الأيام ، ولو أننـــا لا نثـــق في

ديانتهم وأخبارهم لكذبنا كثيراً منهم ، وقلت إن ذلك من نسج الخيال ، لا بـــل مـــن أساطير الأولين. وإن شئت أخي في الله فاستجوب كبير السن واسمع منه ، وأنصت إليه ، لتقارن بين وقتين بين وقت نعيشه ووقت فات لم ندركه و لم نر أهله كيـــف كـــانوا يعيشون .

نعم .. يا أخا العقيدة.. لقد جاءنا الشتاء ، حتى يعتبر العقلاء ، ويتـــذكروا نعمـــة الله عليهم ، جاءنا الشتاء لنتذكر نعمة اللباس والطعام والشراب ، جاءنا الشتاء لنقف قليلاً ونتساءل: هل نحن أكرم على الله ممن مضى ، هل نحن أعز عند الله ممن ســـلف ، مـــن أولئك القوم .. جاءنا الشتاء ليذكرنا أن هذه النعم ليست وقفاً لنا وليخبرنا أننا لـــسنا أحق بها ممن كان قبلنا ، وإننا لسنا أكرم عند الله منهم ، - والله عنده علم ذلك - جاء الشتاء ليحذرنا لئلا تكون هذه النعمة استدراجاً لبعضنا ، فيرتدع من توغـــل في الـــنعم ونسي حق الله ، وجاءنا الشتاء ليقول لنا إن هذه النعمة تسهيلاً وتيسيراً لبعضنا لطاعـــة ربه عز وجل فإن تذكر المرء ذلك دعا الله أن يكون منهم. ونسأل الله أن نكون منهم ، وجاءنا الشتاء حتى نشكر الله عز وجل على هذه النعم التي يتبين قدرها في هذه الأوقات خاصة .. .

قال عز وجل **{لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد}** .. **وقال r** : **((ما أنعم الله على عبد نعمة فحمد الله عليها إلا كان الذي أعطى أفضل من الـــذي أخذ))** .. وكما **قال الحكيم: ((إن النعم بشكرها تستقر ، وبكفرها تفـــر))** ، جـــاء الشتاء حتى نشكر الله عز وجل ، نشكره لا كما يظن البعض ، **إنه إذا قال بلسانه ((الحمد لله)) أو قال ((أشكر الله))** أن هذا هو الشكر فحسب.. لا .. إن شكر الـــنعم يكون باللسان ، ويكون بالجنان ، بالقلب ، ويكون بالجوارح .

يكون باللسان: بأن تلهج ألسنتنا بشكر نعمة الله عز وجل ،ويكون الشكر بالجنـــان: أن نعتقد اعتقاداً جازماً لا شك فيه ولا ريب أنه لولا الله لما تيسرت نعمة واحدة من هـــذه

النعم جميعاً. ويكون الشكر بالجوارح: أن نسخر هذه النعم في طاعة الله عز وجل ، وأن نستعين بها على مرضاته وابتغاء جناته ، لقد جاءنا الشتاء لنتعلم بعض ما يهمنا من أمر ديننا ، ألا ترى أن المرء يلبس الخفين اتقاء البرد ، ويصاحب ذلك أمور تترتب عليها صحة الطهارة والصلاة.

لقد جاءنا الشتاء حتى نستغله بأن نتفقه في أمور ديننا ، وأن نتعلّم ما تبرأ به الذمة في صحة العبادة.

وقفة أخيرة.. أحاديث الشتاء :

تتعلق ببعض الأحاديث التي يكثر ذكرها في الشتاء.. وأذكر هنا أربعة أحاديث ضعيفة ، حتى نتحاشى أن نقول عن نبينا ما لم يَقُلْه هو r .

أما الحديث الأول يشيع ذكره على لسان بعض العامة ، ومما زاد ذلك أن يلبس بعض أهل الصحافة ثوب العلم الشرعي فيفتي ، فيضل ويضل **ما روي في الحديث ((اتقوا البرد فإنه قتل أخاكم أبا الدرداء)) هذا الحديث باطل سنداً ومعنىً ومتناً** . ولا نفكر جميعاً في أن نبحث عن صحته.. لِمَ؟ لأنه يكفي أن نعرف أن أبا الدرداء رضي الله عنه عاش بعد موت النبي r .

أما الحديث الثاني: **((اتقوا البرد فإنه سريع دخوله ، بطيء خروجه)) هذا ليس بحديث مرفوع ، ولكنه من قول عمر رضي الله عنه** .. أخرج ابن المبارك في كتاب الزهد عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى المسلمين بالشام يأمرهم بالاستدفاء لقرب دخول الشتاء ويقول: ((اتقوه فإنه سريع الدخول بطيء الخروج)).

أما الحديث الثالث: **((خير صيفكم أشدّه حراً ، وخير شتاءكم أشدّه برداً ، وإن الملائكة لتفرح بذهاب الشتاء أو بمجيء الشتاء ، لما تنزل فيه من الرحمة)).**

قال ابن رجب رحمه الله تعالى في هذا الحديث: إسناده باطل

والحديث الرابع: ((**إن الملائكة لتفرح بذهاب الشتاء لما يكون علـــى الفقـــراء مـــن الشدة والبلاء))** **أو كما ورد في اللفظ المكذوب.** قال ابن رجب رحمه الله تعـــالى – أيضاً في هذا الحديث لا يصح إسناده.

وهناك حديث خامس معناه صحيح لا شك فيه ولا ريب. ولكن إسناده ضعيف.

((الشتاء ربيع المؤمن)). أخرجه الإمام أحمد في المسند وغيره.

ففي الربيع يكثر الخير وينتفع العباد والبلاد ، كذلك الشتاء يكثر الأجر ويطول الوقـــت لمن أراد الخير بقيام أو تضرّع. وأما حديث ((**عليكم بالغنيمة الباردة فإنها الـــصوم في الشتاء))** فقد تقدم أن بعضهم حسّن إسناده وأن بعضهم ضعّف إسناده.

وعلى كل حال الأربعة الأولى هي التي يجب أن نحذر منها خاصة ...

ختـــامـــــــــاً

ليس لي وأنا أختتم حديث الشتاء ، إلا أن أسأل الله عز وجل أن ينفع من كتب وقـــرأ وسمع وأن يجعل كل ذلك في ميزان الحسنات وأن يضاعف الدرجات.

كما أسأله عز وجل في أن يجعل هذا الشتاء ، لياليه وأيامه زيادة وعوناً على الطاعـــات والحسنات والقربات ، وأن يجعلنا ممن طال عمره وحسن عمله وأن يجمعنـــا في الـــدنيا على أحسن حال وفي الآخرة على أحسن مآل في مقعد صدق عند مليك مقتدر..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين